

# الرحول الاهوة الأهرية

■ بقلم الأستاذ أحمد صقر السويدي

من المهام العظيمة التي ينبغي أن تكون في البيوت، والتي مارسها رسول الله ﷺ ومارسها أهله معه، هو أمر أهله وعشيرته بطاعة الله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر في حياة النبي ﷺ قسمان، أمر عام وأمر خاص.

أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً  
سأبلكم ببلالها<sup>(٢)</sup>.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها  
قالت: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ  
الْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا  
فقال: «يا فاطمة بنت محمد! يا صفية بنت  
عبد المطلب! يا بني عبد المطلب! لا أملك  
لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما  
شئتم<sup>(٣)</sup>».

فهذا نداء عام أمر رسول الله ﷺ أهله  
بطاعة الله، والفرار إليه سبحانه، والإيمان  
به وتوحيده، والإخلاص في العبادة له،

أما الأمر العام: فعن أبي هريرة رضى الله عنه،  
قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ  
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤، دعا  
رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، فعمَّ  
وخص<sup>(١)</sup>، فقال: «يا بني كعب بن لؤي!  
أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن  
كعب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد  
شمس! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني  
عبد مناف! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني  
هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني  
عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار، يا  
فاطمة! أنقذي نفسك من النار، فإني لا

فهذا الحديث يدل على أن رسول الله ﷺ يطلب من أهل بيته أن يحافظوا على سنة الوتر، التي يحافظ عليها رسول الله ﷺ.

نعم ما كان يأمرها أن تقوم معه بقيام الليل، وإنما كان يُرشدكم ويوجههم لذلك، ولكن إذا كان الوتر قال: (قومي يا عائشة فأوترتي).

وصورة أخرى: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخبر أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة، فقال: (ألا تصليان؟) فقلت: "يا رسول الله، أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعتنا، فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍ، يضرب فخذه، وهو يقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾" (٦).

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة، أي أتاها بالليل وكأنه رآهما نائمين أو يتجهزان للنوم، فقال: (ألا تصليان) أي: ألا تقومون ليل؟ فقلت -أي علي-: "يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله، فإن شاء أن يبعثنا بعتنا، أي لو شاء الله لقمنا لقيام الليل، فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك، أي لم يعجبه كلام علي رضي الله عنه ولم

وهناك توجيهات وأوامر خاصة في حياتهم نتعرض لها، لننظر كيف عالج رسول الله ﷺ الأمر بطاعة الله في أهل بيته، فإنه كان حريصاً عليهم كحرصه على أمته وأكثر.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر، إذا خرج إلى صلاة الفجر، يقول: (الصلاة يا أهل البيت، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) (٤).

هذا عون الرسول ﷺ لأهل بيته على طاعة الله فيقوم رسول الله ﷺ بنفسه يمر على بيت السيدة فاطمة رضي الله عنها ليوقظها ويوقظ زوجها علياً رضي الله عنه لصلاة الفجر فيقول: (الصلاة يا أهل بيت محمد).

وهو عون على طاعة الله، عون على رضا الله في وقت قد يثقل على الإنسان أن يقوم لصلاة الفجر فيجد عوناً من رسول الله ﷺ نفسه، فهذا حرص من رسول الله ﷺ على أهل بيته أن يكونوا حريصين على هذه الطاعة مقبلين على هذه الفريضة في وقتها.

وصورة أخرى مع نسائه رضي الله عنهن، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فإذا أوتر قال: (قومي، فأوترتي يا عائشة) (٥).

على صدري، ثم قال: (ألا أعلمكما خيراً مما سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما، أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين. وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم).

وعن ابن أبي ليلى وزاد في الحديث قال علي رضي الله عنه: ما تركته منذ سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين<sup>(٧)</sup>.

**صورة أخرى لتوجيه أهل بيته للطاعة والعمل الصالح، وذلك عندما استيقظ صلى الله عليه وسلم من نومه فزعا لما رأى من الفتن، فأول ما بدأ به من النصح لزوجاته رضي الله عنهن.**

عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة، فقال: (سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحبه الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)<sup>(٨)</sup>.

كما يتضح منه صلى الله عليه وسلم توجيههن نحو أفضل العبادات وأقربها عند الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن جويرية رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: (ما زلت على الحال التي

يعجبه رده، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه).

انظروا إلى تأثير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجد بيت ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما مقبلين على هذه الطاعة، ويجد منهما هذا الجواب، فيضرب فخذه ويقول: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً».

فينظر الإنسان إلى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيت ابنته وزوجها أن يكونوا في طاعة الله، وفي مرضاة الله، وفي عبادة الله، فلما وجد من علي رضي الله عنه هذا الرد، أخذ النبي في نفسه فضرب على فخذه متأثراً من هذا القول، متأثراً من هذا الرد، متأثراً أن يجدهم لا يقومون الليل فيضرب فخذه صلى الله عليه وسلم ويقول: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً».

ويوجه النبي صلى الله عليه وسلم أهله للعون المعنوي بالطاعة على متطلبات الحياة الدنيا، عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها اشتكت ما تلقى من الرّحى في يدها، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبي، فانطلقت فلم تجده، ولقيت عائشة، فأخبرتها، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم، أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (على مكانكما) فقع بيننا حتى وجدت برد قدمه

فارقتك عليها؟ قالت: "نعم"، قال النبي ﷺ: (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)<sup>(٩)</sup>.

وأمر فاطمة رضي الله عنها أن تشهد أضحيتها، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (يا فاطمة! قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإن لك بكل قطرة تقطر من دمها أن يُغْفَرَ لك ما سلف من ذنوبك) قالت: "يا رسول الله! ألنا خاصة أهل البيت، أو لنا وللمسلمين؟" قال: (بل لنا وللمسلمين)<sup>(١٠)</sup>.

وأما عائشة رضي الله عنها فتخبرنا خبراً جميلاً عن عون رسول الله ﷺ لها في التصرف فيما يرضي الله تعالى، وما يزيل عن الناس الحزن، تقول: دخلت علي امرأة مسكينة، ومعها شيء تهديه إليّ، قالت: فكرهت أن أقبله منها رحمة بها، فقال لي نبي الله ﷺ: (فهلا قبلتيه وكافتيها، فأرى أنك حقرتيها، فتواضعي يا عائشة، فإن الله يحب المتواضعين، ويبغض المستكبرين) يعني يوجهها النبي ﷺ إلى التواضع مع هذه الفقيرة، حتى تأخذ ما في نفسها وترحمها بهذا الأمر.

وعن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ لقي

امراً تخرج من عند عائشة ومعها شيء تحمله، فقال لها: (ما هذا؟) قالت: "أهديته لعائشة فأبت أن تقبله"، فقال النبي ﷺ لعائشة حين دخل عليها: (هلا قبلتيه منها!) قالت: يا رسول الله إنها محتاجة، هي كانت أحوج إليه مني، قال: فهلا قبلتيه منها، وأعطيتها خيراً منه)<sup>(١١)</sup>.

وكذلك جاءت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها<sup>(١٢)</sup> إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني امرأة قد ثقلت فعلمني شيئاً أقوله وأنا جالسة، قال: (قولي: الله أكبر مائة مرة، فإنه خير لك من مائة بدنة مجللة متقبلة، وقولي: الحمد لله مائة مرة، فإنها خير لك من مائة فرس مسرجة ملجمة حملتها في سبيل الله، وقولي: سبحان الله مائة مرة فإنه خير لك من مائة رقبة من ولد إسماعيل تعتقنيهم وقولي: لا إله إلا الله مائة مرة لا تذر ذنباً ولا يسبقه العمل)<sup>(١٣)</sup>.

**فانظر إلى توجيه النبي ﷺ أهل بيته إلى الطاعة وعمل الخيرات فرس رسول الله ﷺ يدخل على ضباعة بنت الزبير وهي ابنة عمه قبل أن يحج يعرض عليها أن تحج معه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "دخل رسول الله ﷺ على ضباعة بنت الزبير فقال لها: (أردت الحج) قالت:**

صحبتة في حجتة التي حجها، وذلك لعظيم الأجر والمثوبة عند الله أن يحج الناس مع النبي ﷺ، فكان أولى الناس برسول الله ﷺ أرحامه أن يشاركوه في هذه المثوبة.

"والله! ما أجدني إلا وجعة، قال لها: (حجي واشترطي وقولي: (اللهم! محلي حيث حبستني)<sup>(١٤)</sup>.

فانظر إلى حرص النبي ﷺ أن تكون ابنة عمه معه في الحج حتى لا يفوتها

#### الهوامش:

- ١- عم: خاطب عموم الناس والقبائل في قريش، خص: خاطب أهل بيته وأرحامه.
- ٢- أخرجه مسلم ١/ ١٩٢ ورقمه (٢٠٤)، وقوله: "سألها ببلالها" أي أصلها بالإحسان فلا تنقطع بالجفاء والإعراض كالحبل يُبل بالماء حتى لا تقطعه الشمس بالجفاف.
- ٣- أخرجه مسلم ١/ ١٩٢ ورقمه (٢٠٥).
- ٤- جزء من حديث في سنن الترمذي ٥/ ٣٥٢ ورقمه (٣٢٠٦) وقال: هذا حديث حسن غريب وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ورقمه (٦٢٧).
- ٥- أخرجه مسلم ١/ ٥١١ ورقمه (٧٤٤).
- ٦- أخرجه البخاري ١/ ٣٧٩ ورقمه (١٠٧٥) مولً أي مدبر وذاهب.
- ٧- أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٩١ ورقمه (٢٧٢٧).
- ٨- أخرجه البخاري ١/ ٣٧٩ ورقمه (١٠٧٤).
- ٩- أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٩٠ ورقمه (٢٧٢٦).
- ١٠- مجمع الزوائد ٤/ ٢٠، وقال: رواه البزار وفيه عطية بن قيس وفيه كلام كثير وقد وثق، وقال الألباني: منكر انظر ضعيف الترغيب ورقمه (١٣١٦).
- ١١- حياة الصحابة ج ٢/ ٢٤٠ نقلاً عن أبي نعيم في الحلية ج ٤/ ٢٠٤.
- ١٢- الجامع معمر بن راشد الأزدي ١٠/ ٤٤٩ المكتب الإسلامي الطبعة الثانية تحقيق حبيب الأعظمي.
- ١٣- وهي ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم وخطبها عام الفتح ولكنها اعتذرت إليه لكبر سنها وكثرة أولادها.
- ١٤- مسند أحمد ٦/ ٣٤٤ ورقمه (٢٦٩٥٦): (سبحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقة تعتقن منها من ولد إسماعيل، وأحمدي الله مائة تحميدة تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل لك مائة بدنة متقلدة متقبلة، وهلي الله مائة تهليلة) قال ابن خلف: أحسبه قال: (تملاً ما بين السماء والأرض، ولا يرفع يومئذ لأحد عمل، إلا أن يأتي بمثل ما أتيت به) وقال الألباني: إسناده حسن رجاله ثقات. السلسلة الصحيحة رقمه (١٣١٦).
- ١٥- أخرجه مسلم ٢/ ٨٦٧ ورقمه (١٢٠٧).